الـمحاضرة الثانية

مدخل مفاهيـمي الى تاريخ الجزائر الثقافي

مفهوم التراث والتاريخ : يعتبر موضوع التراث من القضايا التي تثار بخصوصها الكثير من الأسئلة، وبمعنى آخر، فإن دراسة تاريخ الجزائر الثقافي يحيلنا مباشرة إلى الحديث عن التراث وأصنافه، أهميته وسبل المحافظة عليه لاتصاله المباشر مع الذاكرة الجماعية، فالحفاظ على هذه الأخيرة هو الحفاظ على التراث ذاته، كما مثل هذا المفهوم النواة الجديدة للتراث العالمي الذي تضمنته اتفاقية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام 1972 ،وقد لاحظت هذه الاتفاقية أن: "التراث الثقافي والتراث الطبيعي مهددان بتدمير متزايد لا بالأسباب التقليدية للاندثار فحسب وإنما أيضا بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة التي تزيد من خطورة الموقف بما تحمله من عوامل الاتلاف والتدمير الأشد خطرا" .

إن الاهتمام المتزايد بالتراث، هو نتيجة طبيعية لنمطية النظام العالمي الجديد الذي أضحى يهدده بالاندثار والتلاشي، وقد وردت هذه الكلمة في مواضع مختلفة من القرءان الكريم، منها في سورة الفجر الآية رقم 19 في قوله تعالى" :وتأكلون التراث أكلا لما" وردت كلمة التراث بمعنى الميراث الذي يرثه الناس من أموال وعقارات وغير ذلك . والتراث من الفعل الثلاثي ورِثَ وقد جاءت على معنيين المال والمجد، وعليه يظهر أن التراث بهذا المعنى له وجهان، مادي ومعنوي، وبصفة عامة، فإن التراث كل ما يتوارثه الإنسان ويحافظ عليه، وفي اللغة الفرنسية تُعبر كلمة Patrimoine عن التراث، وهي كلمة من أصل لاتيني مكون من شقين، الأول بمعنى الأب، والثاني بمعنى التعليم. والإرشاد والنصح، فالتراث يتحدد في معنيين هما: "1 -مجموع الممتلكات الموروثة عن الأب أو الأم 2 -تراث مشترك لمجموعة أو مجتمع".

وعليه يمكن اعتبار التراث مادة التاريخ، والتاريخ هو: "فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا" وتشمل المعرفة التاريخية الأحداث السياسية، السير والأخلاق، العلوم والفنون والآداب والفلسفة، وقد ظل التاريخ عند القدامى يخضع للسرد الذي لا يتقيد بمنهج الدراسة، فـ: "الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال الاجتماع في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق" .

فالتاريخ هو علم قائم بذاته، ويحتاج فيه المرء إلى جملة من المعارف، وبهذا الخصوص، فإنه لا يمكن الوصول إلى الحقيقة أو فكرة القانون، إلا من خلال الدراسة الاستقرائية التي ترتكز إلى ملاحظة الظواهر الاجتماعية ودراسة خصائصها وتعميم ذلك في دراسة الظواهر التاريخية، وهو الأمر الذي يجب تعميمه في دراسة تاريخ الجزائر الثقافي.

التاريخ والثقافة : إن العلاقة بين الثقافة والتاريخ علاقة تأثير وتأثر، وإذا كنا لاحظنا سابقا الاختلاف في تحديد مفهوم الثقافة بين من ينظر إلى الثقافة باعتبارها معرفة كل شيء وبين من ينظر إليها باعتبارها نسبية وتقريبية، يمكن أن نلاحظ الاختلاف في تفسير التاريخ، وهذا فيما إذا كان علما يرتكز إلى المنهج الاستقرائي، أو فيما إذا كانت فلسفة لا ينظر إلى ما كان من الحوادث والظواهر إلا باعتبار ما يجب أن تكون، وهكذا فإن الرابط بين التاريخ والثقافة كالعلاقة بين الجسد والروح، فلا يمكن الفصل بينهما، فلكل ثقافة تاريخ كما يجب أن تكون لدينا ثقافة في التاريخ، فالثقافة تشمل التراث، وإذا كان التاريخ هو الماضي بالنسبة للثقافة فالعلم هو حاضرها من خلال إدراك المشكلات الراهنة والفلسفة هي مستقبلها من خلال التنبؤ بطبيعة هذه المشكلات، فكل قراءة للتاريخ والتراث، يجب أن تكون قراءة نقدية وموضوعية، ورغم تعدد مناهج القراءة المعاصرة للراهن الثقافي، إلا أنه يجب أن تكون على أكبر قدر من الموضوعية، فـ: "فصل الذات عن التراث عملية ضرورية، إنها الخطوة الأولى نحو الموضوعية"

إشكالية دراسة تاريخ الجزائر الثقافي : ترتكز حول :

1) **تعدد مناهج القراءة .**
2) **تعدد النصوص التاريخية .**
3) **الذاتية .**

واقع الدراسة التاريخية للثقافة الجزائرية : يتحدد موضوع تاريخ الجزائر الثقافي، في الثقافة الجزائرية، والتي يمكن تحديدها في مجالين أساسيين هما :

التراث الثقافي إذ يشير هذا المفهوم إلى: "التعبير الخلاق والمبدع الناتج عن وجود وحياة شعب في الماضي والماضي القريب والحاضر" .

والتراث الطبيعي والذي يشمل جميع الأشكال الحيوانية والجغرافية والجيولوجية التي تشكلت نتيجة مجموعة من العوامل الطبيعية.

كما أن المقصود بتاريخ الجزائر الثقافي هو الفترة الممتدة منذ 1500 م إلى يومنا هذا، وعليه، فإن الحديث عن الجزائر خلال هذه الفترة لم ينشأ دفعة واحدة وإنما بالتدرج، فـ: "الحدود السياسية لجزائر القرن التاسع لم تكن مضبوطة وثابتة. وكلمة الجزائر عندئذ لم تكن تطلق إلا على مدينة ساحلية صغيرة قليلة الأهمية، ولم تكن تعني بأي حال (القطر الجزائري) المعروف الآن" وهكذا فإن معالم الجزائر الحديثة بدأت تتضح منذ القرن الرابع عشر للميلاد، وإذا أردنا الحديث عن الخريطة السياسية قبل الوجود العثماني، فالمصادر تشير إلى أن منطقة شمال إفريقية كانت تحت سيطرة ثلاثة دول رئيسة هي: "المرينية والزيانية والحفصية" .

وبناء على ما سبق يرتكز تاريخ الجزائر الثقافي إلى وحدة المنهج، وأنه يجب على المؤرخ التحري فيما ينقله، وهو ما أشارت إليه النزعة العلمية في التاريخ، ويشمل هذا النقد: "عزل موضوعه زمانا ومكانا عن سائر العصور والدول كما يعزل العالم الطبيعي الظاهرة الطبيعية عما هو حولها من ظواهر."

المراجع :

معيزي نذير . تاريخ الجزائر الثقافي بين واقع الدراسة التاريخية وآفاقها. مقال منشور . مجلة. روافد. للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة عين تموشنت . المجلد. 07. (. 02.) . ص.ص 855- 872 . جوان 2023.

https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/539/7/2/221939